



يبدو أن العالم كله بما فيه أمريكا لا يريد أن يتعلم شيئاً من دروس الحاضر فضلاً عن دروس التاريخ، وإذا كان البعض يجادل بأن أمريكا جديدة على التاريخ يتذرع عليها فهمه، فإن الحاضر غداً أكثر طلاسمًا لها في ظل غرور قوتها وتشبيتها بأدوات الماضي في ظل عولمة اجتاحت كل شيء في حياتنا، باستثناء القناعة الأميركيّة بالانفصال عن أدوات الاستبداد والطغيان المتعفنة في عالمنا العربي...

أفغانستان التي حشدت لها أمريكا أكثر من أربعين دولة لخلع حركة طالبان أفغانستان عن الحكم عام 2001، ها هياليوم تعلن انسحابها من هناك في ظل تعاظم الخطر الذي جاءت للقضاء عليه، فحركة طالبان أفغانستان المتهمة الأميركيّاً بالإرهاب ورعايتها، وقادتها على قائمة الشخصيات الإرهابية غدت الآن أكثر قوة وأكثر تهديداً، وفرّ التحالف الدولي في أفغانستان منظمات أكثر تشدداً وتطرفاً منها، وما على الشخص العادي إلا أن ينظر إلى المجموعات المسلحة المنتشرة كالفطر في باكستان.

بعد 13 عاماً من الحملة الدوليّة في أفغانستان نرى أمريكا وحلفاءها يستجدون حركة طالبان أفغانستان للحوار، بل واللافت أن يُفرز التحالفديمقراطيّة هجينّة غريبة في أفغانستان بحيث يتشارط رأسان إدارة الدولة بعد أن خاضا لعبه اتهامات طويلة عريضة لبعضهما ببعض في تزوير الانتخابات وتزيفها، لتجأ أمريكا إلى الضغط عليهم وترغمهما على القبول بوصفتها الديمقراطيّة الجديدة، يكون فيها الفائز المعلن أشرف غني رئيساً، والخاسر المعلن عبد الله رئيسي للسلطة التنفيذية، بعد أن تذرع على الخاسر قبول الهزيمة وكاد الخلاف بينهما يودي بكل مكتسبات التدخل العسكري لـ 13 عاماً..

في كتابها الأخير "الخيارات الصعبة" تكتب وزيرة خارجية أميركا السابقة هيلاري كلينتون عن التحديات التي واجهها تحالف 40 دولة في أفغانستان وتحديداً فيما يتصل بتنسيق الجهود وتوحيدتها، وهو ضعف رأيناه بالأمس القريب في ليبيا، وبروز الشركاء المتشاكسين وتحديداً بين أمريكا وفرنسا، فلنا أن نتصور ما سيجري الآن في ظل تحالف دولي من خمسين دولة

في العراق والشام، ولا يزال البازار قائماً لضم المزيد، فالتحالف الحالي لن يصل إلى ما وصل إليه التحالف في أفغانستان الذي كان عبارة عن عمليات برية وجوية ومشاركة قوية على الأرض في أفغانستان وبباكستان وهو ما يفتقر إليه تحالف الشام والعراق، أضف إلى هذا الحنين إلى ماضي الشام والعراق وما يعنيه لكثير من الشباب المسلم من أن الشام أرض المحشر والمنشر وأنها عاصمة العالم الإسلامي لأكثر من قرن، وكذلك بغداد وأنها أي الشام البلد الذي قد تكفل به الله، إضافة إلى آيات وأحاديث عن فضلها وخيريتها، كلها ستتشكل خزانةً ومعيناً لا ينضب لكل من يقاتل في الشام ..

الكل يعلم أن سبب كل ما يجري في الشام والمنطقة هو النظام السوري الذي رفض منذ اليوم الأول الاعتراف بحقوق المتظاهرين المسلمين في الحرية، لكن النظام العالمي ككل انحاز إلى الظلم والطغيان رافضاً اقتناص فرصة لحظة تحرر تعيشها شعوب قررت الانفصال والانشقاق عن طغيان لاحقها على مدى عقود، ولم يوفر هذا الطغيان حين قررت الانفصال عنه أن يستخدم كل ما دفعت ثمنه من دمها وعرقها لأذنوب تحرير فلسطين، فكانت هي إسرائيل الحقيقة بالنسبة للطغيان، وتفنن النظام في استخدام الأسلحة الثقيلة إلى الطيران إلى الصواريخ البالستية والكيماوي والبراميل المتفجرة، والعالم كله كأنه يتفرج على حفلة سيرك ...

اليوم تحرك العالم لكن ضد من ثار على الأسد ونشد الحرية، تحركوا بحجج تنظيم الدولة الإسلامية فقصفوا الثوار الآخرين، فكان حالهم كمن تمسك بالبردعة وترك الحمار كما يُقال، فهل بعد كل هذا سيقف الشعب السوري إلى جانب هذه الحملة وهو يرى القاتل على مدى أربع سنوات يُعفي من كل جرائمه وتلاحق الضحية لتعاقب، لمجرد أنها طالبت بأخذ حقوق البشر وهي الحرية التي حُرمتها على مدى عقود من استبداد النظام البغيض السوري.

لعل هذا ما دفع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ومعه دولة قطر للتشكك بالحملة ما لم تعلن صراحة عن إزاحة رئيس النظام السوري بشار الأسد كون استهداف داعش سيقوى النظام ويضعف المعارضة، ويصب ماءً كثيراً في طاحونة المؤامرة التي يعتقد الشعب السوري أنها تستهدفه وتستهدف ثورته، وليس قتلته على مدى سنوات، فانضمام تركيا إلى الحلف الدولي قد يخفف من شكوك الثوار السوريين أيضاً من أن هذا الحلف ليس صليبياً وليس ضد الثورة وال叙利亚ين ..

أما إذا لجأ السوري وغيره إلى تكبير دائرة فننظر إلى اليمن وكيف جاست مليشيات الحوثي أراضي صنعاء قتلاً ونهباً وسلباً، وصمت العالم عليها، فحينها ستتعزز شكوكه بالمؤامرة الكبرى التي تستهدفه وتستهدف إخوانه، عكستها ربما تغريدة لأحد هم يقول "أيها السوري لم يعد لك مكان في هذا الكوكب عليك أن ترحل إلى كوكب آخر .."

المضحك أن أمريكا وحلفاءها لا يزالون مصرin على حل الخطأ بالخطأ في بينما أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن خطأ كبير ارتكبه الاستخبارات المركزية الأمريكية في تهويين قوة تنظيم الدولة، صام تماماً عن أخطائه القاتلة وأخطاء أسلافه في التهويين ممن عاونهم من أنظمة مجرمة استخدمت كل محرم ضد شعبها ولا تزال، وسط صمتهم أو تعاونهم معها، ومع هذا يريدون من الشعوب دعمهم في حملتهم الدولية، ودعم هذه الأنظمة، ربما الصوت النشاز الوحيد من البرية جاء من مدير وحدة ملاحقة أسامة بن لادن سابقاً مايكل شوير الذي أبدع في كتابه المنشور بالإنجليزية "هوبرة إمبريالية" حيث قال لمحطة "السي إن إن" "أخيراً إننا وقعنا في فخ بدخولنا العراق وسوريا لمحاربة الجهاديين، ولا بد من فك التحالف مع طغاة العرب وإسرائيل". ولكن كلامه على ما يبدو ليس لاذان الأميركيين وحلفائهم.

أخيراً.. الجلي أن هذه الحملة الدولية ستمنح شرعية شعبية للتنظيمات المستهدفة، ومن يعرف منطقة الشام العصية على الاحتلال والاستعمار ومن يعرف سوريا بوصفها أول بلد عربي تحرر من الاستعمار يدرك ويعي تماماً أنها حملة تحرث في بحر، وتسعى إلى قبض ريح.

